الأحياء وسماتهم من قوة وضعف»[28]. وقد نجح الحكيم حقاً في رسم صورتها «بحيث بدت شحصيتها نامية إيجابية[29]»، تسعى إلى تحقيق كيانها الذاتي المستقل، وممارسة حريتها بأسلوب الخاص.

وكذلك الأمر بالسبة إلى شخصية «شينة» في «عودة الروح»؛ فإن الحكيم استطاع أن يحعلها نامية هي الأخرى تجسد سمات فتاة الطبقة الغنية بمصر في أوائل القرن العشرين، سواء في معيشتها، أم في تفكيرها وسلوكها العام.

وربما كان سبب نجاح الحكيم في رسم بعض شخصيات رواياته يعود إلى طبيعة الفن الروائي نفسه؛ فالرواية ـ بعكس المسرحية ـ تسمح للكاتب أن يتتبع الشخصية ويسلط الأضواء على ماضيها وتفكيرها ووجدانها وعلاقتها الاجتماعية والإنسانية. وكل هذا يحدد أبعادها، ويبفخ فيها الحياة، ويجعلها متفردة متميزة عن عيرها.